عبدالقادر خضر في غيابه الثاني

ذاكرة مدينة عصية على المـوت!

عبدالقادر خضر، اسم لا يمكن أن يمحى من ذاكرتنا ولا من ذاكرة عدن بسهولة. وان أية مراجعة لتاريخ الصحافة الفنية لهذه المدينة من المؤكد أن اسم عبدالقادر خضر سيحتل مكانة متميزة بين الأسماء القليلة، وكواحد من وجوه الشاشة الفضية الصغيرة الذي طالما أمتعنا من خلالها بسهراته الفنية الغنائية وغنائيات وفناني الزمن الجميل.

عامان مرا على غيابه منذ غادرنا إلى العالم الآخر في 11 ديسمبر 2007م، لكنها كشفت لنا الفراغ الكبير الذي تركه في حياتنا وحياة المدينة التي كان حريصاً على صناعة الفرح في كل بيت من بيوتها عبر إطلالته التلفزيونية من تلفزيون عدن مثيراً الدفء، ومفجراً ينابيع السعادة في مشاهديه، مستحضراً روح الإبداع الموسيقي والطربي لكل ما هو أصيل وجميل من فنون الغناء اليمني من خلال مطربيها وفنانينها الكبار ومن مختلف الأجيال في كل حلقة من حلقات برنامجه وسهراته الفنية التي كان ينتظرها المشاهدون بلهفة ويتلقونها باهتمام واشتياق.

■ الراحل عبدالقادر خضر مع نجلة مجد في طفولته

محمد عمر بحاح

من وجهة نظري إن أهمية عبدالقادر خضر لا تكمن في كونه صحافياً أخلص للصحافة الفنية والكتابة الصحافية المكرسة لفن الغناء ولا في كونه مقدم برنامج فني تلفزيوني ناجح فحسب بل في كونه كان يعكس الحضور الجمالي لهذه المدينة ذات الأسبقية الحضارية في نشوء التلفزيون (الثالث في الوطن العربي) وذات الأسبقية في صناعة النجوم على مستوى اليمن والجزيرة والخليج، وعبرها لكل الوطن وخصوصاً حضورها الفني الغنائي بنقله إلى المحيط الشاسع عبر وسيلة إعلامية تدخل كل بيت بدون استئذان.

ظهر الخضر في زمن الازدهار الاقتصادي والتجاري لعدن الذي صاحبه نهوض ثقافي وفني وانتشار التعليم الحديث وظهور أنماط غير مألوفة من فن الكتابة مع نشوء الصحافة العدنية كالقصة والمقال والرواية والنقد الأدبي والفني، وصفحات فنية في الصحف اليومية وتحديداً في (فتاة الجزيرة) و (الأيام) قبل ظهور مجلات فنية متخصصة كان للمرحوم عبدالقادر خضر دور في تأسيس واحدة منها هي مجلة (أنغام) ومن بعدها (فنون) التي كان صاحب امتيازها ورئيس تحريرها.

وعلى امتداد قرابة نصف قرن رأى وعاش تشكل المدينة بكل إرهاصاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ومنها تشكلت ذاكرته، فحفزته الوقائع التاريخية على اختيار المنطقة التي تميل إليها موهبته وفطرته وتأثره واستعداده فأختار الكتابة الفنية في مجال – الطرب والغناء – الذي له تأثير ساحر على الناس من مختلف طبقاتهم وفئاتهم معتمداً في ذلك على مدينة صانعة للفن ومجددة لفن الغناء في اليمن، وصانعة لنجوم الغناء، أخرجت أسراب المطربين والفنانين على الرغم من مساحتها الصغيرة، واستوعبت ارتال القادمين إليها من المحميات والشمال والأرياف الذين تفاعلوا معها فأعطتهم الشهرة والمجد، ونشرت فن الغناء اليمني على مستوى الجزيرة والخليج.

وقد أدرك عبدالقادر خضر أن الفن عموماً، وفن الغناء تحديداً ليس مجرد عامل للترفيه بل حامل حضاري للوجود المجتمعي، واحد المكونات لوجدانه كما أدرك بعين الإعلامي والوعي النقدي بأن مدينته عدن المفتوحة الفضاءات تتحمل عبء القيام والنهوض بهذه الرسالة، وان الفن بصفة خاصة يعمل على تكوين إجماع وجداني في حين تصبح السياسة والأفكار مدعاة للاختلاف والتنازع والتنافر خاصة في أزمنة الاحتقانات السياسية والقمع والاقصاء، فكان قادراً حتى وسط تلك الأزمات والاحتقانات التي شهدتها عدن في العديد من المراحل، أن يجعل من برنامجه الفني عامل ترابط بين الناس، عبر شدهم إلى مشتركهم الوجداني الطرب والغناء، تلك الجاذبية المؤثرة التي تسهم في تشكيل الوجدان الإنساني.

وحتى في ظل اختفاء الكثير من مظاهر الحياة الفنية، وموت وغياب عدد من الفنانين والمطربين والعديد من التعقيدات التي أحاطت بالمدينة والناس فيها خلال السنوات الأخيرة وبأهل الفن والطرب فيها، كان بمقدوره الاستمرار في تقديم برنامج فني ساهر وناجح ينثر الفرح في حياتنا وحياة المدينة وفي أي مكان يشاهد منه، ولا يزال الناس يستعيدونه عبر أشرطة " الفيديو" بعد أن افتقدوا تقديم سهرات فنية بنفس المستوى والنضج أسلوباً وصنعة ما يؤكد على أهميته النوعية والإبداعية.

لم يكن عبدالقادر خضر الإعلامي الوحيد لكنه تميز بالصدى الواسع ووصول برنامجه إلى كل بيت لقربه من النبض الفني للمدينة التي ولد فيها وعاش وعاصر مجمل تحولاتها النوعية من الازدهار إلى التراجع لعوامل معروفة وكان هناك دائماً التأثير الوجداني للفن وللغناء الذي يحمل أحلام الناس في حياة حرة كريمة تتوحد مع الأهداف والطموحات العظيمة، ومن هذا كان يغترف ويعد برنامجه ومادته الإعلامية سواء في الصحافة المكتوبة محدودة الانتشار ولا تحقق نفس الهدف بذات السرعة، لكنه ظل مخلصاً ومشدوداً إلى عشقه ومعشوقته الأولى الصحافة لأنها القادرة على القيام بوظيفة شاسعة وعميقة الأهمية ذات تأثير يمتد من الحاضر إلى المستقبل. لهذا كان حريصاً على الكتابة للصحف وعلى إصدار مجلته الخفيفة رغم إمكانياته المادية المحدودة.

كتابات عبدالقادر خضر البسيطة والخالية من التعقيدات والمصطلحات، وكلامه المباشر غير المصطنع في سهراته وحواراته مع أهل الفن والطرب كانت تتوسل لغة إعلامية، أكانت مكتوبة أو مسموعة، لا ترتفع على القارئ أو المشاهد بل تصل إليهما بسهولة ويسر، وتحفظ للمدينة والناس فنهما الغنائي.. فكان جزءاً من الذاكرة التاريخية الفنية لهذه المدينة ولسائر الوطن.

في هذه اللحظة نفتقد عبدالقادر خضر الإعلامي والصحافي والصديق، بعد أن صار في المكان الذي سنصير إليه جميعاً وسيصير إليه الكون والموجودات، لكننا سنتذكر أن المشهد الذي كان يبثه فينا.. مشهد الفرح وإعطاء الحياة قيمة تفاؤلية ستبقى، وسيبث فينا قوة معنوية لميلاد جديد لهذه المدينة التي أحبها ونحبها بعمق. هذه المدينة المائية لا تموت.. وهذه اللحظة ليست سوى لحظة عابرة.. أنها مدينة أسطورية... فينيقية! وهذا هو سرها يبوح به التاريخ لمن يريد أن يقرأ ويستوعب، ففي كل مرة يعتقدون أنها ماتت تنهض من بين الرماد وتنتفض مثل البراكين، وتعيد عمارتها بعنفوان الأفكار الجديدة والحداثة العصرية. أنها مدينة للإبداع وتفتح القدرات الإبداعية بما تملكه من ثراء مادي ومعنوي، ومن قدرة على صنع الجديد مما لا تملكه أية مدينة يمنية أخرى.. وهذه مسألة لها علاقة بعبقرية المكان المقرون بفاعلية إنسانية إبداعية تتكامل معها لصنع شكل حضاري متقدم على كافة المستويات، ولم يكن عبدالقادر خضر سوى ابن مخلص لها وجزء من ذاكرتها التاريخية الفنية وأحد أبنائها المبدعين الذين قدروا على صنع الفرح في حياتنا لنرمم بها ثغرات الكآبة والحزن في عراء وجودنا حتى لا تتحجر قلوبنا أو يصيبها الكلل.

أهمية عبدالقادر خضر تكمن في أنه كان يعكس الحضور الجمالي لهذه المدينة ذات الأسبقية الحضارية في نشوء التلفزيون

الخضر أدرك أن الفن عموماً وفن الغناء تحديداً ليس مجرد عامل للترفيه بل حامل حضاري للوجود المجتمعي

كتاباته البسيطة والخالية من التعقيدات والمصطلحات وكلامه المباشر غير المصطنع في سهراته وحواراته كانت تتوسل لغة إعلامية لا ترتفع على القارئ

عندما تكون الكتابة حروفاً من نغم

حسين محمد ناصر

اسم كبير لفنان وإعلامي كبير عرفته الصحافة اليمنية فارساً من فرسانها المتميزين، عشق الكلمة عشقاً جميلاً وهام بالنغمة واحتضن أبرز نجومها ومنهم من تدرج من أولى درجات السلم حتى وصل إلى أعلاه.

كانت لكتابات صديقي العزيز وأستاذي الكبير عبدالقادر خضر نكهة خاصة تشم فيها الصدق والحب والإخلاص والإصرار على تثبيت قيم العمل والجمال والتفاني من اجل مصلحة الوطن قبل أية مصالح وكان مدافعاً عن حقوق الفنانين والأدباء وداعياً لمساعدة المرضى منهم وحل مشاكلهم والاهتمام بأوضاعهم.

منذ السبعينات بدأت علاقتي بالفقيد الاستاذ عبدالقادر وكنت الجأ إليه في أحيان كثيرة للاستماع إلى رايه في هذا الموضوع الفني أو ذاك الثقافي وفتح لي صفحات المجلات التي كان يحتل فيها موقعاً قيادياً .. والصفحات الفنية التي كان يشرف على تحريرها وكثيراً ماكان يطلب مني إجراء لقاء فني أو الكتابة عن موضوع ما. وكثيرة هي المرات التي كنا فيها نزور بعضنا البعض في عدن وأبين وكثيرة ايضاً المرات التي حضر فيها إلى ابين بدعوة مني للمشاركة في هذه الفعالية أو تلك الندوة بصحبة عدد من الزملاء المبدعين من عدن ولحج وكان في كل تلك الجلسات هو الدينامو والمحرك.

ان الحديث عن استاذ كبير وصحفي وإعلامي من الطراز الأول يحتاج إلى مساحة اكبر فمراحل حياة عبدالقادر خضر متعددة وفي كل منها إبداعات مضيئة تجلت فيها موهبته فافرزت نتاجاً حاز على إعجاب وتقدير المتلقي ونقصد بالمتلقي المشاهد الذي عشق خواطره وكتاباته النقدية وكذلك المستمع الذي حضر الندوات واللقاءات الثقافية التي كان فيها الفقيد متحدثاً او مديراً لها وكانت أحلامه كبيرة منذ مطلع شبابه فما ان بدأ خطواته الأولى في عالم الصحافة والأعلام حتى بدأ يصدر الكتيبات الصغيرة التي ضم فيها القصائد الغنائية والأغنيات اليمنية لكبار الفنانين وصدقوني فقد تعرفت على اسم عبدالقادر خضر من خلال هذه الإصدارات المتتابعة لأغنيات محمد محسن عطروش ومحمد مرشد ناجي واحمد قاسم وغيرهم، وكانت أحلامه ايضاً تتعدى كثيراً محيطه الخاص لتشكل بمجموعها كل أحلام الناس الطيبين وعلى رأسهم مبدعو هذا الوطن الجميل واذكر إنني أجريت معه لقاء تحدث فيه عن كثير من قضايا الفن والإبداع وكانت صراحته المعهودة سبباً في غضب البعض من ذوي النفوس الضيقة في أحيان عديدة وبعضها شهيرة ومتداولة بين الوسط الفني.

الصحافي يموت بترك مصادره لا بترك مناصبه

رحل عنا إلى عالمنا الآخر في الحادي عشر من ديسمبر 2007 الصحافي والإعلامي عبدالقادر خضر عن عمر ناهز الواحد والستين عاماً وبرحيله فقدت اليمن واحداً من رموز الصحافة اليمنية في المجال الإعلامي والفني بكتاباته الصحافية حيث كتب العديد من المقالات والموضوعات الصحفية التي تناولت النقد والتحليل ووضع بعض الآراء والمقترحات التي تصب في تطوير وتحديث الجوانب الثقافية والإعلامية في اليمن.

خالد سيف سعيد

وكان للفقيد دور كبير في تدوين وتوثيق العمل الإعلامي والثقافي من خلال مساهماته الفعالة في إصدار مجلة(الفنون) التابعة لوزارة الثقافة بعدن وبعد ذلك حقق الفقيد لنفسه مكانة فريدة ومرموقة في الأوساط الإعلامية والثقافية بإصداره مجلة (النجوم) المتخصصة في كافة النواحي الثقافية وبجهوده الذاتية والمتواضعة استطاع إظهار مجلته إلى النور على الرغم من شحة إمكانياته وكذلك مساهماته في توثيق الأعمال الفنية والموسيقية من خلال تألفه في إعداد وتقديم السهرات الفنية الرائعة بتلفزيون عدن كما يعود له الفضل في اكتشاف العديد من المواهب الفنية الشابة.

كانت لقاءاتي بالفقيد رحمه الله أثناء تواجدي في منتدى الباهيصمي ثم تكررت هذه اللقاءات في منتديات الطيب وبن شامخ والباسويد فزادت الصلة وسرعان ماتحولت إلى صداقة والصداقة لا تقوم بين البشر على قواعد من الهوى والانفعالات وانما تقوم على أسس موضوعية ...او مهنية كما في هذه الحالة ولا اخفي عليكم سعادتي حينما عرض علي بان اكتب في مجلته النجوم بعض المواضيع التاريخية المتعلقة بالجوانب الفنية في عدن ووعد بأنه سيضع صفحة خاصة تحت مسمى الجوانب الفنية في صحف عدن التاريخية مما اضطرني إلى الإسراع في كتابة مقالة للعدد وسلمته ولكن كان القدر أقوى من ذلك.

وأتذكر أثناء لقائي بالفقيد في منتدى الطيب وأثناء ادراته لأمسية احتفالية للفنان الراحل احمد قاسم حيث عرضت عليه كتيباً صغير الحجم من إعداد وتأليف الفقيد عبدالقادر خضر في منتصف الستينيات فاندهش ثم ابتسم قائلاً من اين أتيت بهذا الكتيب؟ تصدق ياأستاذ خالد ليس لدي نسخة من هذا الكتيب.. ولو تكرمت سأستعيره منك لأقوم بنسخه على آلة (الاسكينر) وفعلاً أعطيته الكتيب وبعد فترة وجيزة أعاده وفي هذا الكتيب الصغير الذي أعده الفقيد عبدالقادر خضر قام بإعطاء صورة موجزة عن الراحل الفنان احمد قاسم وكذلك تدوين أروع القصائد العاطفية والوطنية التي حولها الفنان احمد قاسم إلى أعمال غنائية رائعة كأغنية (خصامك زاد) لأحمد الجابري وانشودة (بالأحضان ياقحطان) لأحمد ناصر الحماطي وغيرها من الأغاني العاطفية والوطنية، وفي الصفحة الاخيرة من الكتيب قصيدة نثرية للفقيد بعنوان "صليب الحب" واسرد لكم بعض مقتطفات هذه القصيدة النثرية.

حملت صليب الحب على كتفي
.. طفت الشوارع والمنازل...
أخبرت الصغير والكبير ان الحب هو الحياة وان الحب هو التسامح والطهر.
لكنهم رجموني بالحجارة..
غسلوا وجهي بدمائي..وغسلت خطاياهم بدموعي!
قتلوا جسدي ولم يستطيعوا انتزاع قلبي الذي لايعرف إلا الحب حملت صليب الحب في ارض الكراهية والحسد..
وصرخت من أعماقي في وجوههم ..لكنهم لم يسمعوني لم يعرفوا صوتي لم يفهموا كلماتي والخ من تلك القصيدة النثرية التي تحتوي على اثنين وعشرين سطراً وفي الغلاف الخلفي تبرز صورة (الفقيد) في ريعان شبابه مع اسطر من الكلمات دونها الفقيد يقول فيها:

ياحبيبي الكبير
الحب ليس جريمة ترتكب ولاعيباً يدارى
والاعتراف به لم يكن خطيئة
وختاماً سلام ورحمة لروحه الطاهرة بقدر ماقدم وضحى في مشوار حياته المهنية في الإعلام والفن سيظل أبو مجد في قلوب قرائه ومحبيه واصدقائه ساطعاً ومشرقاً على الدوام.. "انا لله وإنا إليه راجعون".

■ من اليسار الراحل عبدالقادر خضر، أنور خان، نجيب مقبل، علي حيمد، محمد صالح الشعبي وعادل مبروك، في إحدى الفعاليات الثقافية

عبد القادر خضر

رجل عظيم رحل في زمن قل فيه العظماء!!

أخيراً..صحوت من صدمتي..وهول فاجعتي..والتي لا زالت تأثيراتها النفسية..تحرق فؤادي..منذ الرحيل غير المتوقع..بل المفاجئ على قلبي..لأن الحدث مؤلم بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ..لأن (الراحل) كان عظيماً..

كيف لا وهو الأخ..والحبيب..والصديق..أي والله..هو أستاذي..ورفيق عمري/عبد القادر خضر (أبا مجد)..أحد أبرز شموس (الإبداع)..بمختلف أركانه..المقروء..والمرئي..والمسموع..في بلادنا بعامة...

ذلكم الطود الذي ظل شامخاً..لأكثر من (45 عاماً)..في ساحة الإبداع اليمني..معطاءً دون كلل أو ملل..وبسخاء نادر لأنه كان عاشقاً للإعلام بعامة..والثقافة..والفن..والرياضة بخاصة منذ نعومة أظفاره..من هذا الإتجاه المنطقي..كانت أعماله المتعددة في مجال الإبداع..(ناجحة) بكل المقاييس..ولا زالت..!!.

عوض سالم عوض

نعم..لا زالت بعضاً منها..يطل علينا..بين لحظة وأخرى..من تلفازنا اليمني ولا زالت كتاباته نبراساً حياً يضيء طريقنا..لأنه (مدرسة)..تنعم برسالة منهاجها الصريح الصادق..لهذا سيظل (أبو أمجد)..فقيدنا الأعز (عبد القادر خضر)..حياً في وجدان كل أوفياء مدرسته الخاصة..في مجال (الإبداع الإعلامي اليمني)...رغم الرحيل الأليم لنا...صبحية يوم الثلاثاء..الموافق2007/12/11م..ذلكم (اليوم الأسود) والحزين في قلب..كل من كان نديماً له..الألم والحزن..سيظلان في القلب..لرحيله دون سابق إشعار..أو..حتى كلمة وداع..!!.

بكل أمانة..أقولها عبر هذه الكلمات..بأني أحاول جاهداً..لأن ابتعد بقلمي كثيراً..عن الآلام..والجراحات..وجحود هذا الزمن..لأبنائه ورجالات بوزن (أبي مجد) الذي تجرع مؤخراً كل صنوف القهر والنسيان من (وطن) قدم له..كل عنوانين الوفاء العظيم..طيلة مشوار حياته..فكتان ينتظر..لمسة (حنان)..أو..سؤال بالاهتمام..وبعد طول انتظار..على فراشه يكابد كل الجراحات..بكبريائه المعهود..وعظمة عزة نفسه التي لا تلين..شعر وكأنه ضيف ثقيل على وطنه..داعياً الله العلي القدير..أن يكون ضيفاً كريماً..في جنان الخلد..ليرحل (عبد القادر خضر)..بهدوء كما كانت حياته هادئة..بعد أن صمت (قلبه)المكلوم كمداً..ليفارق وطناً لا يستحقه..أي ظلم هذا..وأي جحود..بل هي المسخرة بعينها..؟. أن نهمل مبدعينا في حياتهم..ونتناساهم بعد الرحيل..يا ترى هل من مجيب.....؟